الفصل الأول
السلطان

الميلاد والنشأة : ولد السلطان عبد الحميد الثاني يوم الأربعاء ٢٢ سبتمبر عام ١٨٤٢م، وتوفيت والدته، وهو في الثامنة من عمره، فاحتضنته الزوجة الثانية لوالده بيرستو قادين ، التي كان معروفًا عنها أنّها شديدة التديُّن، وشملته بحنانها وعطفها، وقد بادلها عبد الحميد هذا الحب، وأعجب بوقارها وتدينها وصوتها الخفيض الهادئ، فكان يقول عنها: لو كانت والدتي حيَّة لما استطاعت أن ترعاني أكثر من رعايتها، وعندما توفيت أوصت بجميع ثروتها له، وكان لتربيتها له انعكاس على شخصيته طوال عمره لذا منحها عند صعوده للعرش لقب السلطانة الوالدة.

نشأ السلطان عبد الحميد وترعرع في دار الخلافة العثمانية، وقضى شبابه يطلب العلم، فقد درس وتعلم اللغة التركية والفارسية والعربية والفرنسية، ودرس كثيراً من كتب الأدب على أيدي أساتذة ونخبة مختارة من أفضل رجال زمنه علماً وخلقًا، وكان يقول الشعر، كما كان شغوفًا بقراءة كتب التاريخ،إضافة إلى حبِّه الشديد للمطالعة، وتعمق في علم الصرف، حتى أنّه أمر بترجمة المقالات والمجلات والصحف الأجنبية التي ترد إليه؛ ليتمكّن من قراءتها، أمّا بالنسبة لهواياته فهي متعدّدة؛ منها:المبارزة بالسيف،والرماية بالمسدس،والسباحة، والتجديف وركوب الخيل، والصيد، كما كان شَغوفًا بجمع الأسلحة النادرة، أمّا أبرز هواياته فكانت النجارة.

وعُرف السلطان عبد الحميد بتقواه وتمسُّكه بالدين، ولم يُعرف عنه تركه للصلاة قط أو إهماله للتعبّد، تقول عنه ابنته عائشة: كان والدي يؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها، ويقرأ القرآن الكريم، كان كثير الارتياد للجوامع لا سيما في شهر رمضان.

واتسمت حياته بالبساطة الشديدة،والابتعاد عن البذخ والإسراف ، واستمرّت بساطته حتى في أيام السلطنة،وامتاز عن أسلافه من السلاطين بأنه لم يستدن قرشاً واحداً من أحد، وبهذا عصم نفسه من أن يقع في حبائل أصحاب البنوك وجُلّهم من اليهود، ولكن أعداءه لم يتركوا الفرصة دون أن يقلبوا هذه الخصلة الحميدة إلى مذمّة، فأطلقوا عليه في كتاباتهم لقب عبد الحميد البخيل.

هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، وآخر من امتلك سلطة فعلية فى إدارة شئون البلاد.

<u>زيارته الى أوروبا مع عمه السلطان عبدالعزيز</u>: قام السلطان عبدالعزيز بزيارة أوروبا يرافقه وفد عثماني رفيع المستوى وكان من ضمنه الأمير عبدالحميد الذي ظهر أمام الأوروبيين بملابسه البسيطة وسيرته الحميدة في عفة وقد استعد الأمير عبدالحميد لهذه الرحلة بمطالعات واسعة، فقد كان دقيقاً في رؤيته، وفي حكمه على الأشياء التي رآها في الغرب، والتقى الوفد العثماني بساسة ذلك العصر في أوروبا مثل؛ نابليون الثالث في فرنسا، والملكة فكتوريا في إنجلترا، وليوبلد الثاني في بلجيكا،

وغليوم الأول في ألمانيا، وفرانسوا جوزيف في النمسا وقد سبقت تلك الرحلة زيارته مع السلطان عبدالعزيز إلى مصر وانتبه أثناء وجوده في مصر إلى الزيف الكاذب للبريق الأوروبي والأخذ هناك بالشكليات الأوروبية ، مما جعل مصر تستدين وتغرق في الديون، نتيجة انطلاق الخديوي اسماعيل باشا في إسرافه ومحاولته جعل مصر قطعة من أوروبا ، وأما رحلته الى أوروبا فقد استغرقت من ٢١ يونيو إلى ٧ أغسطس عام ١٨٦٧م زار الوفد العثماني: فرنسا وإنجلترا وبلجيكا والدولة النمساوية المجرية.

وفي هذه الرحلة الأوروبية ، تفتح ذهن السلطان عبدالحميد على أمور كثيرة، انعكست على فترة حكمه كلها بعد ذلك وهذه الأمور هي:

١- الحياة الأوروبية بكل مافيها من طرق معيشة غريبة وأخلاق مختلفة.

٢- التطور الصناعي والعسكري وبخاصة في القوات البرية الفرنسية والألمانية وفي القوات البحرية البريطانية.

٣- ألاعيب السياسة العالمية.

وأثرت رحلة السلطان عبدالحميد إلى أوروبا أيضاً في اتباعه سياسة مستقلة تجاه أوروبا ولم يعرف عن عبدالحميد تأثير أي حاكم أوروبي عليه، مهما كانت صداقته ومهما كانت درجة التقارب بين بلده وبين

الدولة العثمانية وتعلم السلطان عبدالحميد من هذا درس القدرة على إسكات القوى التي تود تحطيم الدولة العثمانية وذكاء الحوار السياسي وهو مابرع فيه بعد ذلك

وتزوج السلطان مثل أغلب أسلافه من الجواري وزوجاته هن:السيدة نازك أدا. السيدة بدر فلك. السيدة نور أفسون الزوجة الثالثة. السيدة بيدار. السيدة دلبسند.السيدة مزيدة.السيدة نور أمثال أو أمثال نور.السيدة مشفقة. السيدة سازكار. السيدة بيوسته. السيدة فاطمة بسند. السيدة بهيجة. السيدة صالحة ناجية وللسلطان عبد الحميد سبعة عشر ثمانية ذكور وتسعة إناث.

كان شغوفاً بالموسيقى ويقول في ذلك كنت قد شُغِفت بالعزف على البيانو في شبابي ،وكان أيضاً شغوفاً بالنجارة والرسم وكان مغرماً برسوم المناظر الطبيعية ،رسم زوجته صورة بقلم الفحم وقيل أنه كان يحتفظ بها في مكتبه، وقد بدأ شغفه بالنجارة على أيام والده السلطان عبد المجيد الأول الذي كان أيضاً شغوفاً بهذه الصنعة وكان إلى جانب والده رجل متقن أسمه خليل أفندي وتعلم السلطان على يده.

صفاته وخصائصه المميزة: ومن صفاته كما قالت ابنته: كان والدي متوسط القامة، يميل شعر رأسه ولحيته إلي اللون الكستنائي الغامق كثيف شعر الرأس إلا في قمتها ، وكان محدب الأنف ،بالشكل الذي يحمل

سمة آل عثمان ، اما نظراته فكانت تنم عن ذكاء وكان صوته جهورياً قوياً تستعذب كلماته حين تسمعه ،وكان قادراً علي شرح أفكاره ومراميه بأفصح العبارات وأرق الكلمات، تشهد في حركاته وتصرفاته وقار السلطنة وبهاءها، وخلاصة القول أنه كان نمطاً من أنماط الأسرة العثمانية وكان يتوضأ في اليوم ثلاث أو أربع مرات ، ويؤدي صلاته بإنتظام وسجادته يحملها معه أينما ذهب ، وكان يقول إن إقامة الصلاة علي الحرير غير جائزة ٠

بصيرة السلطان في وثيقة عثمانية: من المعروف عن السلطان عبد الحميد أنه كان ذو فراسة وبصيرة نافذة قلما تخطئ وقد استشرف مستقبل ما يسعى إليه اليهود من خلال ما يقومون به للحصول على موافقة السلطان على إقامة وطن لهم فى فلسطين يقول د. سهيل صابان- قسم التاريخ - كلية الآداب جامعة الملك سعود في صيف عام ٢٠٠٧م وجدت وثيقة نادرة ألحقت بها وثيقة فرنسية فلما قرأتها، تبين لي مدى أهميتها في التعرف على شخصية السلطان عبد الحميد الثاني ومدى ما يتمتع به من فكر ثاقب،واستشراف للمستقبل ذلك أن تلك الوثيقة العثمانية كانت تعهداً خطياً من تيودور هرتزل الكاتب اليهودي المجري المعروف بكتابه دولة اليهود، وصاحب مشروع إقامة الدولة اليهودية في فلسطين،الذي أقام المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧م .

وتكمن قصة الوثيقة فى الآتي: من المعروف أن تيودور هرتزل قد سافر إلى إستانبول وقابل السلطان عبد الحميد الثاني بوساطة من السفير النمساوي عام ١٩٠١م، وعرض هرتزل على السلطان مبلغاً مالياً كبيراً، مقابل التنازل عن قطعة أرض لليهود في فلسطين فلم يكن من السلطان إلا أن طرده من مجلسه شر طردة بعد أن قال له: هذه الأراضي حصل عليها أجدادي بدمائهم، ولا أملك التنازل عنها إلا على أشلائي وقد حاول هرتزل مقابلة السلطان بعد ذلك، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل فقام هذه المرة بالتبرع لخط حديد الحجاز بمبلغ مائتي ليرة عثمانية؛ لغرض يكنه في نفسه، وسلم المبلغ لسفارة الدولة العثمانية في فيينا فلما عرض الموضوع على السلطان عبد الحميد الثاني، انزعج كثيراً فأصدر أمره إلى السفير العثماني، طالباً منه جلب هرتزل إلى مقر السفارة وكتابة تعهد بخط يده، يذكر فيه أن المبلغ المالي الذي قام بالتبرع به إلى خط حديد الحجاز، قد استرده بالكامل.

وفيما يلي ترجمة نص الوثيقة المحفوظ في الأرشيف العثماني في تصنيف السفارة السَنيَّة في فيينا

إلى الجانب العالي دائرة الكتابة الأولى في المابين السلطاني

إن المسيو هرجل [هرتزل] قد رغب في الإسهام في مشروع خط حديد الحجاز، الذي هو من أعظم مآثر جناب السلطان وخدماته الجليلة،

فأرسل شيكاً بمبلغ مائتي ليرة عثمانية من خلال البنك العثماني، راجياً توصيله إلى جناب السلطان وقد أشار إلى أنه في حال عدم قبول المبلغ المذكور للمشروع، فبالإمكان تحويله إلى دار العجزة أي كبار السن إن الشيك المسجل باسم محسوبكم، قد أرسل بطيه إلى جنابكم؛ بغية التحويل والأمر والفرمان لحضرة من له اللطف والإحسان.

٢٥ ذو القعدة ١٣١٩هـ ٢٠ شباط ١٣١٧رومي/٦ مارس ١٩٠٢م

سفير فيينا (ختم) محمود نديم

وبناءاً على هذا الخطاب، فقد عُرض الموضوع على السلطان عبد الحميد الثاني، فأصدر أمره بعدم قبول المبلغ المذكور، وإعادته إليه، وجرى إبلاغ السفارة العثمانية في فيينا بذلك فطلب السفير كما يبدو من خطابه تيودور هرتزل، فأخذ منه التعهد المرفق بأنه استعاد المبلغ المذكور فبعث السفير العثماني محمود نديم ذلك التعهد إلى السلطان، ومعه الخطاب الآتي:

السفارة السَنِيَّة في فيينا

إلى الجانب العالي دائرة الكتابة الأولى في المابين السلطاني

سيدي صاحب العطف بناءً على عدم إمكانية قبول الشيك البالغ مائتي ليرة عثمانية المقدم من الموسيو هرتزل، إعانة لمشروع خط حديد

الحجاز، فقد تمت إعادته إليه وقد جرى تحصيل ورقة منه، تفيد بأنه استرد الشيك المذكور، وذلك بناءً على الأمر السلطاني الصادر بهذا الخصوص في ٢٢ ذي الحجة ١٣١٩هـ برقم ٩٨٥٥ وتجدون طيه الورقة المأخوذة منه بهذا الصدد والأمر والفرمان لحضرة من له اللطف والإحسان.

٥ محرم ١٣٢٠هـ ١٤ إبريل ١٩٠٢م

سفير فيينا (ختم) محمود نديم

وبناءً على ما سبق فقد اتضح أن السلطان عبد الحميد الثاني، كان متبصراً بالواقع، مستشرفاً للمستقبل عرف أن ذلك المبلغ الذي تبرع به سيكون وصمة عار في جبينه، يتلاعب به اليهود فيما بعد، وأنهم سوف يدّعون مساهمتهم في مد خط حديد الحجاز لذلك فقد أبقى هذا الخط مشروعاً إسلامياً بحتاً، بعيداً عن أي شكوك يمكن أن تحوم حوله في المستقبل، حتى انتهى منه وكذلك استمر على المبدأ السياسي الذي آمن به طيلة حكمه، الذي انتهى فيما بعد بتآمر يهودي ماسوني منخرط في كيان جمعية الاتحاد والترقي ذلك المبدأ الذي طبقه في منع إسكان المهاجرين اليهود في فلسطين؛ لمعرفته الجازمة بأهداف الصهاينة في الأراضي الفلسطينية.

بيعته للخلافة وأعلان الدستور :أصدر شيخ الإسلام في دار الخلافة العثمانية فتواه التاريخية بعزل السلطان مراد الخامس وتعيين شقيقه الأصغر عبد الحميد الثاني خليفة على المسلمين، وتبوأ السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة يوم الخميس في ٣١ أغسطس ١٨٧٦م، وقبل أن يباشر السلطان مهامه الجديدة صلى لله تعالى ركعتين شكرًا في جامع أبي أيوب الأنصاري، وهناك تسلم من شيخ الإسلام سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو سيف الخلافة، وهي بداية طيبة تدل على اعتزازه بدينه الإسلامي وكان عمره آنذاك أربعاً وثلاثين سنة، وحضر لمبايعته الوزراء والأعيان وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين في سراي طوبقبو وهنأه بالخلافة كذلك رؤساء الطوائف المختلفة،وأطلقت المدافع فى سائر أطراف السلطنة احتفالاً بهذه المناسبة وأقيمت الزينات فى جميع جهات استانبول ثلاثة أيام وأرسل الصدر الأعظم برقيات إلى دول العالم لإعلامها بذلك وكان السلطان عبدالحميد قد عين مدحت باشا صدراً أعظم،ثم أعلن في ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦م الدستور الذي يضمن الحريات المدنية وينص على مبدأ الحكومة البرلمانية.

كان البرلمان يتكون من مجلسين: مجلس النواب أو المبعوثان ثم مجلس الأعيان أو الشيوخ وكانت أوضاع البلاد يومئذٍ فى أسوأ حال، حيث كانت في منتهى السوء والاضطراب، سواء في ذلك الأوضاع الداخلية والخارجية،أما الأوضاع الخارجية فقد اتفقت الدول الغربية

واليهود على الإجهاز على الدولة التي أسموها تركة الرجل المريض، ومن ثم تقاسم أجزائها.

وأما الأوضاع الداخلية: فقد أفلست خزينة الدولة وتراكمت الديون عليها،حيث بلغت الديون ما يقرب من ثلاثمائة مليون ليرة،كما ظهر التعصب القومي والدعوات القومية والجمعيات ذات الأهداف السياسية كجمعية الاتحاد والترقي، بإيحاء من الدول الغربية المعادية، وكان لليهود فيها دور كبير، خاصة يهود الدَوْنَمة، إلى جانب وجود رجال كان لهم دور خطير في الدولة، فقد فُتنوا بأوروبا وبأفكارها، وكانوا بعيدين عن معرفة الإسلام،ويطالبون بوضع دستور للدولة على نمط الدول الأوروبية النصرانية، ويرفضون العمل بالشريعة الإسلامية.

كل هذه الظروف القاسية كادت تعصف بالدولة العثمانية، وفي وسط هذه التيارات والأمواج المتلاطمة، كان عليه أن يسير بالدولة إلى شاطئ النجاة والأمان دون أن يعرضها للخطر، وقد أدرك السلطان عبد الحميد بما أنعم الله عليه من ذكاء وفطرة أهداف الأعداء وأطماعهم، فتحمل المسئولية بكل قوة وحكمة، فعمل على إعادة الهيبة إلى الخلافة كما كانت في عهودها الأولى، لذلك أوّل ما فعله السلطان عبد الحميد أنّه سعى إلى رأب الصدع، فجرى على سياسة الاقتصاد من أجل تحرير رقبة بلاده من قبضة الدول والمصارف الأجنبية، حتى إنّه تبرّع من ماله الخاص من أجل هذا الغرض، فاستطاع تسديد القسم الأكبر من تلك

الديون، وفي عهده تخرج جيلٌ كامل من المثقفين والمتعلمين من كليات وجامعات ومعاهد أسسها السلطان، وبدأت الدلائل تشير إلى عودة الصحة والعافية إلى جسد الرجل المريض.

وقد تعرض السلطان عبدالحميد في بداية حكمه إلى استبداد الوزراء واشتداد سياسة التغريب بقيادة جمعية العثمانيين الجدد التي كانت تضم النخبة المثقفة التي تأثرت بالغرب واستطاعت الأيدي الماسونية تجنيدهم لخدمة أهدافها، وقد بلغ من استبداد الوزراء بالحكم،أن كتب مدحت باشا،وهو في مقام الرئاسة لنخبة العثمانيين الجدد، إلى السلطان عبدالحميد في أول عهده بالعرش: لم يكن غرضنا من إعلان الدستور إلا قطع دابر الاستبداد،وتعيين مالجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات، وتعيين وظائف الوزراء، وتأمين جميع الناس على حريتهم وحقوقهم، حتى تنهض البلاد إلى مدارج الارتقاء، وإني أطيع أوامركم إذا لم تكن مخالفة لمنافع الأمة .

ويقول السلطان عبدالحميد في هذا: لقد وجدت مدحت باشا ينصّب نفسه آمراً ووصياً عليّ وكان في معاملته بعيداً عن الديمقراطية وأقرب إلى الاستبداد وكان مدحت باشا وأصحابه من الماسون يدمنون الخمر قال السلطان عبدالحميد في مذكراته ومن المعروف أن أحرار ذلك العهد من شعراء وأدباء اجتمعوا مساء يوم صدور مرسوم القانون الأساسي في قصر مدحت باشا، لا ليتحدثوا في أمور الدولة ، بل في أمور السكر

والعربدة، وهم يحتسون الخمر، ومدحت باشا يدمن الخمر منذ شبابه ومشهور عنه هذا وألتقت نشوة الخمر بالنشوة التي بعثها إعلان القانون الاساسي وعندما نهض مدحت باشا من على مائدة الأكل خرج مستنداً على أذرع الآخرين حتى لا يقع على الأرض وبينما كان يغسل يديه قال لزوج أخته طوسون باشا وهو يؤرجح لسانه في فمه بتأثير الخمر ياباشا من يستطيع الآن، وبعد كل ما وصلت إليه أن يبعدني عن منصبي؟! من ؟! قل لي كم عاماً سأبقي في الصدارة العظمى؟ رد عليه طوسون باشا قائلاً :إذا بقيتم على هذا الحال، فليس أكثر من أسبوع! لقد كان مدحت باشا في مجالس الخمر الخاص به يفشي أدق اسرار الدولة وكانت هذه الأسرار تنتشر في اليوم التالي بين أهالي استنبول وفي إحدى الليالي تحدث مدحت باشا عن عزمه على إعلان الجمهورية في الدولة العثمانية وأنه سيصبح رئيساً للجمهورية العثمانية الجديدة ثم إمبراطوراً لها تماماً مثلما حدث مع نابليون الثالث بفرنسا وكان مدحت باشا متهماً بقتل السلطان عبدالعزيز وشكل السلطان عبد الحميد لجنة للتحقيق في ذلك ثم قدم المتهمون الى المحكمة التي أدانتهم وحكم على مدحت باشا بالإعدام وتدخل السلطان عبدالحميد وخفض الحكم إلى السجن ثم نفي إلى الحجاز حيث مقر السجن العسكري هناك.

وهكذا ظل السلطان عبدالحميد الثاني يتمتع بالسلطة التي سبق لأسلافه أن تمتعوا بها، ومدحت باشا ذاته كان أول الضحايا كما أن

الصلاحيات الواسعة التي منحها الدستور للسلطان حدت من سلطة رئيس الوزراء بحيث لم يتيح له أن يلعب سوى دور ثانوي في تسيير دفة الحكم.

آراء السلطان السياسية : يشرح السلطان عبد الحميد وضع الدولة منذ تولية لعرشها والسياسة التى سعى لتطبيقها طيلة مدة حكمه فيقول : ولدت فى أمريكا ،دولة فتية قوية وكانت أسبانيا قد أخرجت من مستعمراتها بشكل دائم وانتظم يهود العالم وسعوا عن طريق المحافل الماسونية فى سبيل الأرض الموعودة فى نظرهم وجاءونى بعد فترة وطلبوا منى أرضاً لتوطين اليهود فى فلسطين مقابل أموال طائلة وبالطبع رفضت.

كنت أرى بوضوح أن دول أوروبا العظمى قد أخذت تقسم العالم فيما بينها وكانت الممالك العثمانية ضمن الدول التى ستتعرض للانقسام وكنت لا أستطيع أن أقف أمام تلك القوى وحدى لم تكن قوتى تكفى ، الشئ الوحيد الذى كنت أستطيع فعله هو الاستفادة من التنافس فيما بينها وتوزيع الأمل فى لقمة كبيرة بعض الشئ على كل واحدة منها والايقاع بين كل واحدة وأخرى .

مرة أخرى كنت أرى بوضوح أن ظهور ألمانيا كفيل باخلال التوازن الأوروبى وأنه سيوقع الدول الأوروبية ببعضها البعض وأنى لو استطعت

انقاذ بلادى من التعرض للانقسام حتى ذلك اليوم فانى وقت هذا الصدام أستطيع حماية وجودنا بالانضمام إلى إحدى الكتلتين وكسر الطرف الآخر ولم أكن أرى هذا ببعيد وفى نهاية ذلك سيتصادمون وبحثت بدقة عن الطريق التى سأسلكها وكنت قد رأيت أثناء مؤتمر الدول الكبرى الذى عقد فى استانبول نوايا هذه الدول وهى ليست كما يقولون تأمين حقوق الرعايا المسيحيين بل تأمين استقلالهم الذاتى ثم العمل فى سبيل ذلك فى اتجاهين الأول إثارة المسيحيين وتعكير صفوهم وبهذا تتصدى لحمايتهم والثانى المناداة بتطبيق الدستور لإحداث فرقة فيما بيننا واستطاعوا أن يجدوا من بيننا أنصاراً يستخدمونهم فى كلتى الغايتين وللأسف كان على خبز العدو شئ من السمن فلم يستطع بعض الشباب التركى المثقف أن يفرق بين التطبيق السهل للحكم الدستورى فى بلاد تتمتع بوحدة قومية وبين تعذر هذا الحكم فى الدول التى لا تتمتع بوحدة قومية كيف كان يمكن أن أنقذ بلادى من هذه الخيانات والتمردات ؟.

أسرعت فى تجهيز الجيش بالأسلحة الحديثة وما هو مناسب من أسطول وتدريب على فنون الحرب واستدعيت إلى استانبول الضابط الكبير فوندر جولتز ورأيت أننى لو اتفقت مع دولة تسود البحار فى الحرب التى أتوقعها فستكون جيوشى مستعدة للعمل وخلاصة فكر السلطان عبد الحميد تتركز فى استعداده لتوقعه محاولة إزاحته من مكانه وسعى الغرب لهدم الامبراطورية وتقسيم ممتلكاتها بينها حتى إذا ما آن

أوان تقسيم الامبراطورية كان جاهزا كما عمد الى الوقيعه بين القوتين العظميين آنذاك.

كما كان يرى ضرورة العمل على توحيد القوى الإسلامية لمجابهة الروح الاستعمارية الطامعة في الدولة العثمانية؛ لذلك سعى إلى طرح شعار الجامعة الإسلامية، وجعلها سياسة عليا لدولة الخلافة، فعمل على تدعيم أواصر الأخوة بين مسلمي الصين والهند وأفريقيا، ورأى في ذلك الشعار وسيلة لتوحيد الصفوف حوله وحول دولته في الداخل والخارج؛ فاستعان بمختلف الرجال والدعاة والوسائل لتحقيق غرضه، فأقام الكليات والمدارس،وربط أجزاء الدولة بـ٣٠ ألف كيلومتر من البرق والهاتف، وبنى غواصة وقامت تجارب الغواصة من ماله الخاص وفي ذلك الوقت لم تكن انجلترا تملك سفينة تسير تحت الماء ، وعني بتسليح الجيش.

السلطان عبد الحميد والمرأة: أهتم بالمرأة وجعل للفتيات داراً للمعلمات ومنع اختلاطهنّ بالرجال وفي هذا يذكر السلطان في معرض الدفاع عن نفسه أمام اتهام جمعية الاتحاد والترقي له بأنه عدو العقل والعلم بأنه لو كنت عدواً للعقل والعلم فهل كنت أفتح الجامعة؟ لوكنت عدواً للعلم ، فهل كنت أنشئ لفتياتنا اللواتي لا يختلطن بالرجال ، داراً للمعلمات؟ وقام بمحاربة سفور المرأة في الدولة العثمانية،وهاجم تسرب أخلاق الغرب، إلى بعض النساء العثمانيات، ففي صحف استانبول في ٣ أكتوبر

١٨٨٣م أظهر بيان حكومي يعكس وجهة نظر السلطان شخصياً في رداء المرأة حيث أمر بعودة رداء المرأة التركية الى الشكل الشرعى الذى أمر به الاسلام ورفض الخلاعة والزى الغربى وكان يرى : أن المرأة لا تتساوى مع الرجل من حيث القوامة ويقول: مادام القرآن يقول بهذا، فالمسألة منتهية ولا داعي للتحدث عن مساواة المرأة بالرجل ويرى أن فكرة المساواة إنما جاءت من الغرب وكان مع تعليم المرأة لذلك أنشأ داراً للمعلمات، لتخريج معلمات للبنات كما كان ضد الاختلاط بين الرجل والمرأة وضد سفور المرأة ولم يكن في عهده للمرأة رأي في شؤون الدولة مهما كانت هذه الشؤون انطلاقاً من قول النبى ص لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة وإنما دور المرأة في البيت وتربية الأجيال وكان يعامل المرأة معاملة كريمة نادرة فهذه زوجة أبيه التي احتضنته وقامت بتربيته، ندما تولى العرش ، أعلن زوجة أبيه التي ربته (والدة السلطان) بمعنى الملكة في المفهوم الحديث وكانت الملكة في القصر العثماني ، هي أم السلطان وليست زوجته كما في الدول الأخرى.